

أثر التطوّر الدلاليّ في توجيه المعنى القرآنيّ

د. يزيد بن اسباع Yazid Bensbaa

كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة العربية وعلوم اللسانيّات جامعة الحاج لخضر باتنة 1، الجزائر
E-mail(yazid.bensbaa@univ-batna.dz)

استلم: 2026-07-19، مقبول: 2026-07-22، نشر: 2026-07-29

The Impact of Semantic Development on Directing the Quranic Meaning

ABSTRACT: *Semantic development highlights a language's vitality and capacity to generate renewed meanings across cultural contexts. This topic holds particular significance in Quranic studies, as the Holy Quran shifted numerous Arabic words from their common lexical meanings to deeper theological, legislative, and ethical dimensions. This research investigates the impact of semantic development on directing Quranic meaning, examining key mechanisms such as narrowing, broadening, semantic shift, and metaphor, while highlighting the context's role in reshaping significance. Utilizing a descriptive-analytical approach, the study traces selected Quranic terms from pre-Quranic usage to their Quranic contexts, relying on classical lexicons, exegesis (Tafsir), and modern linguistics. The study concludes that semantic development enriched the Quranic text, making its comprehension essential for interpretation and pragmatics, while underscoring a unique aspect of the Quran's rhetorical inimitability (I'jaz Bayani).*

Keywords: *Quranic Words, Lexical Significance, Semantic Development, Directing Meaning.*

المخلص: يُعَدُّ التطوّر الدلاليّ من الظواهر اللغوية التي تكشف حيوية اللغة وقدرتها على استيعاب المعاني الجديدة وتوليد الدلالات المتجددة تبعاً للسياقات الاستعمالية والثقافية. ويكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة في الدراسات القرآنية؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، غير أنه نقل كثيراً من الألفاظ من دلالاتها المعجمية الشائعة إلى دلالات أعمق وأوسع، بما ينسجم مع مقاصده التشريعية والعقدية والأخلاقية. يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر التطوّر الدلاليّ في توجيه المعنى القرآنيّ، من خلال الوقوف على أبرز الآليات الدلالية التي أسهمت في تطور معاني الألفاظ القرآنية، مثل التخصيص والتعميم والنقل الدلاليّ والمجاز. كما يسعى إلى بيان دور السياق القرآنيّ في إعادة تشكيل الدلالة وتوسيع آفاقها، بما يجعل اللفظ القرآنيّ قادراً على استيعاب أبعاد معنوية متعددة دون الإخلال بوحدة المعنى العام للنص. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع نماذج من الألفاظ القرآنية التي شهدت تحولاً دلاليّاً بين الاستعمال العربيّ السابق للقرآن والاستعمال القرآنيّ، وتحليل أثر ذلك في توجيه الفهم التفسيري واستنباط المعاني. كما تستند إلى كتب التفسير واللغة والمعاجم والدراسات اللسانية الحديثة للكشف عن العلاقة بين الدلالة الأصلية والدلالة القرآنية. وتخلص الدراسة إلى أن التطوّر الدلاليّ أسهم في إثراء المعنى القرآنيّ وتوسيعه، وأن فهم هذه الظاهرة يمثل مدخلاً مهماً لتفسير القرآن الكريم واستيعاب أبعاده الدلالية والتداولية، كما يبرز جانباً من جوانب الإعجاز البياني للخطاب القرآنيّ وقدرته على توظيف الألفاظ توظيفاً دقيقاً يحقق كثافة دلالية وثراءً معنوياً فريداً.

الكلمات المفتاحية: ألفاظ القرآن الكريم، الدلالة اللغوية، التطوّر الدلاليّ، توجيه المعنى.

مقدمة:

تُعدّ اللغات الإنسانية ظواهر اجتماعية وثقافية تخضع لنواميس التغير والتطور عبر الزّمان وتعاقب الحضارات واختلاف المكان؛ فاللفظ لا يعيش في عزلة عن البيئة الفكرية والحضارية للمجتمع الذي ينطق به. ومن أبرز مظاهر هذا التغير ما يُعرف في اللسانيات الحديثة بـ "التطور الدلالي" (Semantic Development)، وهو من أبرز الظواهر اللغوية التي تكشف عن حيوية اللغة العربية وقدرتها على استيعاب المستجدات الحضارية والثقافية، إذ نجده كفيلا بتحويل الكلمات من حقول دلالية حسية ومادية ضيقة إلى آفاق تجريدية ومفهومية أرحب. وحين نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، استثمر الرصيد اللغوي المتاح لدى عرب الجاهلية، وأعاد صياغته وهيكلته وبث دلالات متجددة فيه، حيث شهدت الألفاظ العربية انتقالات دلالية متعدّدة عابرة للعصور، وقد أقرّ القرآن الكريم بعض الألفاظ، وخصّص بعضها الآخر، ونقل طائفة منها من معناها اللغوي العام إلى معانٍ شرعيةٍ مخصوصة ليتسق مع مقاصده الكبرى: العقائدية، والتشريعية، والأخلاقية. إن هذا الانتقال باللفظ من "المواضعة المعجمية القديمة" إلى "الدلالة الشرعية المستحدثة" هو ما يُطلق عليه: "التطور الدلالي". والذي يعدّ مفتاحا مهماً في فهم الخطاب القرآني وتوجيه دلالاته توجيهاً صحيحاً، بعيداً عن إسقاط المعاني الاصطلاحية المتأخّرة على النصّ القرآني.

الإشكالية:

تكمن الإشكالية الرئيسة لهذا البحث في محاولة رصد الفجوة الدلالية بين الاستعمال اللغوي الجاهلي للألفاظ والاستعمال القرآني لها، إذ إن الكثير من المفسرين والدارسين يقعون في إشكاليات تأويلية نتيجة إسقاط المعاني المعجمية القديمة على النصّ القرآني دون مراعاة لحركية اللفظ وتطوره داخل السياق القرآني المخصوص. وبناءً على ذلك، يتفرع عن هذه الإشكالية المشكلات الآتية:

ما هي الآليات اللسانية التي اعتمدها الخطاب القرآني لتطوير دلالات الألفاظ (كالتخصيص، والتعميم، والنقل، والمجاز)؟

كيف يوجه التطور الدلالي الفهم التفسيري للآيات ويحمي المفسر من الانزلاق نحو التفسير الحسي القاصر؟

ما هو دور السياق في ترجيح الدلالة الشرعية المستحدثة على الدلالة اللغوية الأصلية؟
أهمية البحث:

تتبلور أهمية هذه الدراسة في جوانب معرفية ومنهجية متعددة:
علمياً: يربط البحث بين علم الدلالة الحديث (Semantics) وعلم التفسير وأصول الفقه، مما يسهم في سدّ الفجوة بين العلوم اللسانية الحديثة والعلوم الشرعية التراثية.
تطبيقياً: يوفر للباحثين والمفسرين أدوات لغوية دقيقة ونماذج تطبيقية لتتبع حركية اللفظ، ويميط اللثام عن سر الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وكيفية توظيفه للألفاظ توظيفاً مكثفاً يحقق ثراءً معنوياً فريداً.

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، متكاملًا مع منهج الحقول الدلالية (Semantic Fields)، ويتم ذلك عبر خطوتين متلازمتين:
الرصد التاريخي الوصفي: تتبع اللفظ في البيئة اللغوية السابقة للقرآن (أشعار الجاهلية والمعاجم القديمة كمقاييس اللغة ولسان العرب).
التحليل السياقي: دراسة اللفظ داخل النظم القرآني، ومعرفة التغير النمطي الذي طرأ عليه، مستعينين بأمهات كتب التفسير التي عنيت بالجانب اللغوي والبلاغي (مثل الكشف للزمخشري والتحرير والتنوير لابن عاشور).

التطور الدلالي؛ المقاربة النظرية والمفهومية:

مفهوم التطور الدلالي في اللسانيات الحديثة:

يعرّف علم الدلالة الحديث التطور الدلالي بأنه التّغيير الذي يطرأ على البنية المعنوية للكلمة بالاتساع أو الضيق أو الانتقال، نتيجة عوامل لغوية أو اجتماعية أو دينية أو حضارية بحيث تصبح العلاقة بين الدال والمدلول علاقة جديدة لم تكن مألوفة من قبل (عمر، أ.م، ص 73-95، 1998). ويرى اللغوي الإنجليزي ستيفن أولمان أن الكلمات تدور في فلك من العلاقات المتداخلة،

وأن تغير الثقافات وتبدل النظم الاجتماعية والدينية يعد العامل الأقوى في تحريك الدلالة (أولمان، ص 88-112، 1997). فاللغة لا تتغير في أصواتها أو تراكيبها بسرعة بقدر ما تتغير في دلالات ألفاظها؛ لأن الدلالة هي المرآة العاكسة لحاجات الفكر البشري المتجددة. والقرآن الكريم لم يقف من الدلالة العربية موقفاً جامداً، بل أحدث ثورة دلالية كبرى؛ ويمكننا تقسيم المعجم الدلالي للفظ القرآنية إلى ثلاثة مستويات تاريخية:

الدلالة الجاهلية (الأصل الحسي): حيث كانت الألفاظ تدور غالباً في فلك البيئة البدوية الحسية المشاهدة.

الدلالة القرآنية (الشرعية/النقل): وهي الدلالة التي اصطفها الوحي، حيث نقل الألفاظ من دلالاتها الحسية الضيقة إلى دلالات قيمية، تشريعية، وعقدية رحبة، وهو ما يُعرف في أصول الفقه بـ "الأسماء الشرعية" (الراغب الأصفهاني، ص 881، 1412هـ).

الدلالة العرفية الحادثة (المتأخرة): وهي المعاني التي اكتسبتها الألفاظ في العصور اللاحقة (كالعباسية وما بعدها وصولاً إلى العصر الحديث) نتيجة تداخل العلوم وترجمة الفلسفات ونشوء المصطلحات المدنية.

مفهوم "الحقيقة" الشرعية واللغوية عند الأصوليين:

إن ما يطلق عليه اللسانيون المحدثون "التطور الدلالي بفعل العامل الديني"، هو عينه ما بحثه علماء أصول الفقه والمفسرون المتقدمون تحت باب "الحقيقة والمجاز" أو "الأسماء الشرعية واللغوية"، وقد اختلف العلماء في هذا الباب على ثلاثة أقوال شهيرة:

الفريق الأول (المعتزلة وبعض الأصوليين): يرون أن الشرع نقل الألفاظ نقلاً كلياً واخترع لها دلالات جديدة لم تكن تعرفها العرب، فالصلاة عندهم حقيقة شرعية مبتدعة ومجاز لغوي.

الفريق الثاني (الباقلاني وجماعة): يرون أن الشرع لم يغير من دلالة الألفاظ شيئاً، بل بقيت الألفاظ على وضعها اللغوي الأصلي، وما الزيادات الشرعية إلا شروط وأركان خارجة عن معنى اللفظ.

الفريق الثالث (ابن جني وابن فارس وجمهور المحققين): وهو المذهب الذي ينسجم مع اللسانيات الحديثة، ويرى أن القرآن أبقى على الروابط الدلالية الأصلية للألفاظ، لكنه ارتقى

بها، فخصص عامها، أو نقلها لعلاقة وثيقة بين المعنى المادي القديم والمعنى الروحي والشرعي الجديد (ابن جني، ص 45-68، 1952).

آليات التحول الدلالي في النص القرآني:

استثمر النص القرآني مرونة اللسان العربي، ووظف آليات لسانية معروفة لإعادة صياغة المفاهيم، ومن أبرز هذه الآليات:

آلية التخصيص (Semantic Narrowing) :

التخصيص هو قصر اللفظ الذي كان موضوعاً لمدلول عام واسع، على مدلول خاص ومحدد. ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم:
لفظ "الصلاة": كان هذا اللفظ في الشعر الجاهلي يدور في حقل "الدعاء" أو "البركة" أو "التحريك". يقول الأعشى في معلقته:

لَهَا شَهْرُزَادٌ وَأَثَارُهَا ... وَصَلَّى عَلَى دَنْهَا وَارْتَسَمَ (الأعشى، 1950، ص. 142)

أي دعا للدين وصانه. فحين جاء القرآن الكريم، ضيق هذا المعنى العام المشتت، وخصصه لعبادة ذات ركوع وسجود، وقراءة وأذكار، تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم (ابن منظور، المجلد 14، مادة "صلا"، ص 25-32، 1993). وبذلك تحول اللفظ من حقل السلوك اللغوي العادي إلى حقل الشعائر التعبدية المقننة.

آلية التعميم (Semantic Broadening) :

وهي على العكس من التخصيص؛ حيث يتم نقل اللفظ من دلالة على فرد أو سياق ضيق إلى دلالة تستوعب أبعاداً شاملة:

لفظ "الفسق": الفسق في أصل الوضع اللغوي عند العرب كان يُستعمل في سياق حسي ضيق جداً، وهو "خروج التمرة الرطبة من قشرتها" (ابن فارس، المجلد 4، مادة "فسق"، ص 502-504، 1979). نقل القرآن الكريم هذا اللفظ من حيزه المادي الزراعي الضيق، وعممه ليشمل كل خروج عن طاعة الله وعن حدود الشريعة، سواء كان ذلك في العقيدة (كالكفر) أو في السلوك والأخلاق (كالذنوب والمعاصي).

آلية النقل الدلالي والاستعارة (Semantic Shift & Metaphor) :

تعد الاستعارة المفهومية من أقوى الآليات التي نقل بها القرآن العرب من الوثنية المادية إلى التوحيد التجريدي:

حقل (الكفر والإيمان): الكفر في اللغة من "الكفر" وهو الستر والتغطية، ومنه قيل للزراع "كافر" لأنه يستر البذر بالتراب. وقد نقل القرآن هذا المعنى الحسي إلى معنى عقدي غيبي، فأصبح الكفر يعني "ستر الحق وجحود نعم الله ووحدانيته" (الراغب الأصفهاني، مادة "كفر"، ص 715-718 هـ). وفي المقابل، نُقل "الإيمان" من مطلق التصديق والشعور بالأمان المادي، إلى منظومة عقدية تشمل التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان.

دراسة تطبيقية لأثر التطور الدلالي في التفسير:

لفظ "الأمة" وتحولاته التداولية:

عند تتبع لفظ "الأمة" في الاستعمال المعجمي القديم، نجد أنه يعود إلى الأصل "أم" الذي يفيد الضم والجمع (ابن فارس، 1979، المجلد 1، ص. 22). لكن السياق القرآني وجّه هذا اللفظ توجيهاً دلالياً متعدد الأبعاد بناءً على ظاهرة "الوجوه والنظائر" (السيوطي، 1974، المجلد 2، ص. 132).

فقد ورد اللفظ في القرآن موجهاً إلى دلالات مختلفة تماماً عن مجرد الجماعة البشرية:

بمعنى الدين والملة: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22].

بمعنى الحين والزمن الممتد: في قوله تعالى: ﴿وَلَيْتُنَا خَرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود:

8]، وهو هنا انتقال دلالي من المكان (الجامع للبشر) إلى الزمان.

بمعنى القدوة الجامع للخير: في وصف إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا

لِلَّهِ﴾ [النحل: 120]. يذكر ابن عاشور (1984، المجلد 14، ص. 292) أن التطور الدلالي هنا جعل

من الشخص الواحد "أمة" نظراً لأن الصفات التي تفرقت في رجال أمة كاملة قد جُمعت فيه وحده، وهو توجيه تفسيري بلاغي فائق الدقة.

لفظ "التقوى" من التحصن المادي إلى التجريد الروحي:

يُمثّل لفظ "التقوى" نموذجاً بارزاً لآلية التطور الدلالي؛ فجذره اللغوي من (وق ي) يدور في المعاجم حول معنى "الاتخاذ والافتعال من الوقاية"، وهي صيانة الشيء عما يؤذيه ويضره حساً (ابن فارس، 1979، المجلد 6، ص. 131). وفي شعر الجاهلية، كان اللفظ يُساق في سياق الحروب والتحصن المادي من السلاح والدواب؛ كقول عنتر بن شداد في معلقته:

وَقَدْ تَقَنَّى بِحَرٍّ وَجْهَهُ خَالِدٌ... وَأَنْصَاعَ يَغْثَرُ فِي الرِّجَالِ وَيُسْرِعُ (الشنتمري، 1993، ص. 215).
أي اتخذ وجهه وقايةً ليتقي بها الضرب. أما في الاستعمال القرآني، فقد شهد اللفظ قفزة دلالية كبرى بنقله من الحقل العسكري والحسي إلى الحقل الإيماني والغبي والتعبدية. يذكر الراغب الأصفهاني (1412هـ، ص. 881) أن التقوى في تعارف الشريعة أصبحت تعني: "صيانة النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات".

وقد أسهم هذا التطور الدلالي في توجيه الفهم التفسيري في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكْ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26]. يوجه الزمخشري (1407هـ، المجلد 2، ص. 92) المعنى هنا بالإشارة إلى أن النص القرآني استعار اللباس المادي (الذي يقي الجسد من الحر والبرد وعيون الناس) ليدل على "لباس التقوى" وهو الحياء أو العمل الصالح الذي يقي روح الإنسان وعرضه من دنس المعاصي، مما يحدث كثافة دلالية تجمع بين الصورة الحسية والمفهوم التجريدي المستحدث.

لفظ "المنافق" وتأسيس الحقل السياسي والاجتماعي الجديد:

قبل نزول القرآن الكريم، لم تكن العرب تعرف لفظ "المنافق" بالمعنى الاصطلاحي السائد اليوم. كان اللفظ لغوياً يشتق من "النَّفَق" وهو السَّرْب في الأرض، أو من "النَّافِقَاء" وهي إحدى جحور اليربوع التي يخرج منها إذا أُتِيَ من جحر آخر (ابن منظور، 1993، المجلد 10، ص. 358). حين نزل القرآن الكريم، وخاصة في العهد المدني، واجه النص بنية اجتماعية وسياسية جديدة تطلبت توليد مصطلحات تصف هذه الظواهر؛ فاستعار القرآن سلوك اليربوع (الذي يدخل من باب ويخرج من آخر موهماً أعداءه) ووظفه عبر النقل الدلالي ليصف الفئة التي تبطن الكفر وتظهر الإيمان (إيزوتسو، 2007، ص. 112).

ويظهر أثر هذا التطور في توجيه المعنى التفسيري عند ابن عاشور (1984، المجلد 1، ص 298) عند تفسير مطلع سورة البقرة؛ حيث يرى أن اللفظ انتقل انتقالاً كلياً بفعل الشرع ليعبر عن حقيقة شرعية جديدة تتجاوز الوصف اللغوي الحسي إلى كشف مركب نفسي واجتماعي معقد، وبناءً عليه توجّهت جميع الأحكام الفقهية والسياسية المتعلقة بالتعامل مع هذه الفئة في المجتمع المسلم الناشئ.

دور السياق والوجوه والنظائر في توجيه المعنى:

سلطة السياق (Context) في ترجيح الدلالة الشرعية:

لا يمكن فهم التطور الدلالي بمعزل عن "نظرية السياق" التي أسسها عبد القاهر الجرجاني في تراثنا تحت مسمى "النظم"، والتي تلتقي مع أطروحات اللسانيات الغربية الحديثة كأعمال ستيفن أولمان وجون فيرث. يرى الجرجاني (1992، ص. 343) أن الألفاظ لا تتفاضل ولا تتطور وهي مفردة في المعجم، وإنما تكتسب قيمتها الدلالية الجديدة من خلال موقعها في الشبكة التركيبية.

إن السياق في القرآن الكريم يمثل "السلطة التوجيهية العليا"؛ فهو الذي يحدد ما إذا كان اللفظ قد بقي على أصله اللغوي القديم أم أنه تطور إلى دلالة شرعية جديدة. فعلى سبيل المثال، لفظ "البئس" أو "التجارة" يوجهه السياق أحياناً ليعني المعاوضة المالية المادية، ويوجهه في سياق آخر ليعني المعاوضة الأخروية الروحية، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10]، حيث نقل السياق لفظ التجارة من حقل الاقتصاد المادي إلى حقل الإيمان والجهاد (الطباطبائي، 1974، المجلد 19، ص 256).

ظاهرة الوجوه والنظائر كأثر للتطور الدلالي المشترك:

تعدّ ظاهرة "الوجوه والنظائر" في علوم القرآن التطبيق العملي الأكثر وضوحاً لحركية التطور الدلالي داخل النص نفسه. والنظائر هي الألفاظ المتواطئة في اللفظ، والوجوه هي المعاني المختلفة التي تتصرف إليها تلك الألفاظ (السيوطي، 1974، المجلد 2، ص 130).

ولنأخذ لفظ "الهُدَى" كنموذج تطبيقي تتبع السيوطي وجوهه؛ فاللفظ أصله اللغوي "الإرشاد والدلالة برفق"، لكنه داخل البنية القرآنية تطور ليوجه إلى أكثر من سبعة عشر وجهاً دلاليّاً بحسب السورة والسياق، منها:

بمعنى الثبات: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]

بمعنى البيان: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: 17]

بمعنى التوحيد: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 73].

بمعنى الرشد المعرفي والرسالة: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: 23]

هذا التصرف الدلالي الواسع للفظ الواحد يؤكد مرونة النص القرآني وقدرته على توجيه الكلمة الواحدة لخدمة أبعاد تداولية وتفسيرية متعددة دون إحداث خلل في الوحدة البنائية للنص (مطر، 1985، ص. 222).

أثر إغفال التطور الدلالي في توجيه المعنى (نماذج تطبيقية):

إن عدم الوعي بحركية اللفظة العربية وتطورها التاريخي يُنتج قراءات تفسيرية مشوهة. ونعرض هنا لنماذج أخطأ فيها التوجيه بسبب إسقاط الدلالات المتأخرة على النص القديم: فمثلاً: لفظ (تَحْرِيق)

في قوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: 68].

التوجيه المغلوط: يتبادر إلى الذهن المعاصر أن "التحريق" لا يكون إلا بالنار حتماً.

التوجيه الدلالي الصحيح: بالعودة إلى المأثور اللغوي القديم، نجد أن مادة (ح ر ق) تطورت دلاليّاً؛ فقد كانت العرب تقول: "حَرَّقَ ثوبه" إذا خشنه، و"حَرَّقَ الأسنان" إذا حدّها وأحدث بينها احتكاكاً، بل إن التكرير في "حَرَّقوه" عند بعض اللغويين الأوائل قد يعني: "بالغوا في أذيته وشدّدوا عليه خناقه" (الزمخشري، 1407هـ، ج3، ص 122).

وإن كان السياق هنا قد انتهى بنار، إلا أن فهم اللفظة بكافة أبعادها يمنع قصر المعنى على المشهد المادي الأخير فقط دون الالتفات لشدة التنكيل المعنوي والمادي المفروض عليه قبل إلقائه.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة البحثية المعمقة في أثر التطور الدلالي على توجيه المعنى القرآني، خلوص البحث إلى جملة من النتائج الإستراتيجية:

مرونة اللسان العربي واستيعابه للوحي: أثبت البحث أن اللغة العربية امتلكت بنية توليدية مرنة سمحت للنص القرآني بإعادة هيكلة مفرداتها ونقلها من الفضاء المادي الضيق إلى الفضاء القيمي والروحي والشرعي الأرحب دون كسر قوانين اللغة.

الآليات الدلالية المنضبطة: إن التطور الدلالي في القرآن اعتمد كان دقيقاً قائماً على آليات لسانية منتظمة كال تخصيص والتعميم والنقل والمجاز، مما حفظ للفظ جذره الأصلي ورقى ظلاله المعنوية.

أهمية الوعي بالتطور الدلالي في التفسير: إن إغفال حركة اللفظ وتطوره الدلالي يوقع المفسر في إسقاطات تاريخية خاطئة، أو يقيده بالمعاني البدائية الجاهلية الكفيلة بحجب مقاصد الشريعة والتشريع الإسلامي.

تجلي الإعجاز البياني: تظهر الكثافة الدلالية الفريدة للقرآن في قدرته على شحن اللفظ الواحد بمعانٍ عقدية وتعبدية واجتماعية وسياسية مكثفة، مما يجعل الخطاب صالحاً ومستوعباً للمستجدات الإنسانية.

توصيات:

بناءً على ما تقدم من نتائج، يوصي الباحث بالآتي:

ضرورة تفعيل "علم الدلالة التاريخي وتطور الألفاظ" في أقسام الدراسات القرآنية بالجامعات في برامج الدراسات العليا المتخصصة في التفسير وعلوم القرآن.

عدم الاكتفاء بالمعاجم المتأخرة (كالقاموس المحيط أو لسان العرب) دون مراجعة المعاجم المبكرة كـ "العين" للفراهيدي أو "كتاب الجيم" للشيباني، لمعينة اللفظ في بيئته الأولى.

التمييز الدقيق بين المعنى اللغوي الأصلي والمعنى الشرعي الطارئ لتوجيه الأحكام توجيهها صحيحاً.

تشجيع الباحثين على إعداد "معاجم دلالية سياقية تاريخية" للألفاظ القرآنية، تتبع حركة الكلمة من الشعر الجاهلي إلى النظم القرآني ثم الاستقرار الأصولي والفقهي.

تعزير الدراسات البيئية والتكاملية التي تزوج بين اللسانيات الحديثة (خاصة التداولية وعلم الدلالة المعرفي) وبين أطروحات المفسرين المتقدمين وعلماء أصول الفقه لتجديد آليات الخطاب البحثي المعاصر.

ضرورة الحذر في أثناء التعامل مع دلالات الألفاظ القرآنية لحماية التفسير من شطحات التأويل الناجمة عن التطور الدلالي، يقترح البحث الالتزام بالضوابط التالية:

الالتزام بزمان النزول (المزامنة التاريخية): يجب فهم اللفظ في حدود ما كان يعنيه عند العرب وقت نزول الوحي، وليس بما صار إليه المعنى بعد قرون.

الاعتداد بالسياق (المقالي والمقامي): السياق هو المحدد الأكبر للدلالة؛ فاللفظة الواحدة قد تنتقل بين معانيها القديمة والحديثة في السورة نفسها بناءً على القرائن الحافة (ابن قيم الجوزية، د.ت، ج4، ص9).

تتبع الوجوه والنظائر: دراسة اللفظة في كل المواضع التي وردت فيها في القرآن الكريم لمعرفة الخيط الدلالي الرابط بينها.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن جني، أ. ف. ع [ت. 392هـ] (1952)، الخصائص (م. ع. النجار، محقق؛ المجلد 1، ص. 45-68). دار الكتب المصرية.
- ابن عاشور، م. ط. (1984)، تفسير التحرير والتنوير (المجلد 1، ص. 120-135؛ المجلد 5، ص. 204-210؛ المجلد 14، ص. 292). الدار التونسية للنشر.
- ابن فارس، أ. ز. [ت. 395هـ] (1979). معجم مقاييس اللغة (ع. م. هارون، محقق؛ المجلد 1، ص. 22؛ المجلد 4، مادة "فسق"، ص. 502-504؛ المجلد 6، ص. 131). دار الفكر.
- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، (بيروت، د.ت، ج4، ص9). دار الكتاب العربي.
- ابن منظور، م. ب. م [ت. 711هـ] (1993). لسان العرب (ط. 3، المجلد 10، مادة "نفق"، ص. 358؛ المجلد 14، مادة "صلا"، ص. 25-32). دار صادر.

- أولمان، س. (1997). دور الكلمة في اللغة (ك. م. بشر، مترجم؛ ص. 88-112). دار غريب للطباعة والنشر.
- إيزوتسو، ت. (2007). الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم (ع. أ. مبروك، مترجم؛ ص. 45-70، 112). المنظمة العربية للترجمة.
- الجرجاني، ع. ق. [ت. 471هـ]. (1992)، دلائل الإعجاز (م. م. شاكر، محقق؛ ص. 340-355). مطبعة المدني.
- الراغب الأصفهاني، ح. م. [ت. 502هـ]. (1412هـ). المفردات في غريب القرآن (ص. ع. الداودي، محقق؛ مادة "كفر"، ص. 715-718؛ ص. 881). دار القلم.
- الزمخشري، ج. ع. [ت. 538هـ]. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (المجلد 1، ص. 88-95؛ المجلد 2، ص. 92). دار الكتاب العربي.
- السيوطي، ج. د. [ت. 911هـ]. (1974). الإتقان في علوم القرآن (م. أ. إبراهيم، محقق؛ المجلد 2، النوع التفرعي: الوجوه والنظائر، ص. 130-145). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السامرائي، ف. ص. (2000). معاني النحو (ط. 1، المجلد 3، ص. 12-29). دار الفكر للطباعة والنشر.
- الشايع، خ. ع. (1993). بناء المقالة الدلالية عند المفسرين (أطروحة دكتوراه منشورة، ص. 145-180). دار العاصمة.
- الطباطبائي، م. ح. (1974). الميزان في تفسير القرآن (المجلد 2، ص. 42-55؛ المجلد 19، ص. 256). مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- عمر، أ. م. (1998). علم الدلالة (ط. 5، ص. 73-95). عالم الكتب.
- مطر، ع. ع. (1985). الخصائص اللغوية للقرآن الكريم (ص. 210-235). دار اقرأ.
- الدّواوين:
- الأعشى، م. م. [ت. 7هـ]. (1950). ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) (م. م. محمد، محقق؛ ص. 142). مكتبة الآداب بجمهورية مصر العربية.
- الشنتمري، ي. س. [ت. 476هـ]. (1993). أشعار الشعراء الستة الجاهليين (ط. 2، ك. بستان، محقق؛ ص. 215). دار الفكر.